ASJP Algerian Scientific Journal Platform
دراسات معاصرة Contemporary Studies
مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي-تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-988 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297

المجلد: 05/ العدد: 01 (2021)، ص.ص.87/110

# الاتجاهات الأدبية والفكرية في نقد الشعر السعودي

## كتابات (أبو مدين) أنموذجًا

# Literary and Intellectual Trends in the Criticism of Saudi Poetry: Abu Madian's Writings as a Model

**د. وصفي ياسين عباس**
wswaha@kku.edu.sa
**جامعة الملك خالد، فرع تهامة**
**المملكة العربية السعودية**

تاريخ الاستلام 2021/02/10 تاريخ القبول: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/02

**الملخص:**

يهدفُ البحثُ إلى تقديم قراءة نقدية في ثلاثة كتب للأديب والناقد السعودي (عبدالفتاح أبو مدين)؛ هي: (أمواج وأثباج، في مُعترك الحياة، حياة بين الكلمات)، تقوم فيها برصد الاتجاهات الأدبية وتسجيل الأنماط الفكرية. وترجع أهميته إلى عدم وجود دراسات نقدية سابقة تطرّقت لموضوع الكتب الثلاثة، كما أنّ هذه الكتب تقف شاهدًا ماديًا، قرابة نصف قرن، على مسيرة (أبو مدين) الأدبية والفكرية بمجتمعه.

وفي ضوء نقد النقد وارتباطه بجمالية تلقّي الشعر السعودي عند (أبو مدين)، خلُص البحث إلى أنّ (أبو مدين) هو رائد الحداثة السعودية، وصاحب الحراك الثقافي الأبرز فيها، حيث أظهر وعيًا نقديًا وذائقة صافية مدرّبة وفكرًا مستنيرًا، حاور به النصوص، وقارب القضايا، وقد تجلّت في مقالاته جوانبُ الإبداع والفكر والثقافة وروح الإصلاح.

**الكلمات المفتاحية:** أبو مدين، الأدب، الثقافة، الفكر، المجتمع

**Abstract:**

The research aims to provide a critical reading in the Saudi writer and critic Abd al-Fattah Abu Madian's Amwaj wa Athbaj, fi Motarak al-Hayah and al-Hayah Bain Kalimat. This research will present and point out the literary as well as the intellectual trends in them. The research importance lies in the absence of any previous critical study that dealt with the topic of the above-mentioned books. For about half a century, these books stand as a physical witness on Abu Madian's literary and intellectual career in his society.

In the light of criticizing this critique and its connection with the aesthetic of composing Saudi poetry by Abdulfatah Abu Madian, the research concluded that Abu Madian is the pioneer of Saudi modernity, and the owner of the most prominent cultural movement in it, as he showed a critical awareness, a trained as well as a pure taste and an enlightened thought, with which he delivered texts and approached issues. His articles manifested aspects of creativity, thought, culture and a spirit of reform.

**Key words:** Abu Madian, literature, culture, thought, society

**المقدمة**

إنّ الجمع بين الأدب والفكر قد خلق تجاذبًا وتجاورًا ثقافيًا بين الأنساق، وتداخلًا معرفيًا بين الأدوار، وتكاملاً بين ماهية الأديب ودوره، بين خلفية المفكر وبيئته التي يعمل بها، بين الجنس الأدبي والقضايا الأكثر تمثّلًا فيه، بين ما يتقنه المفكر وما يحتاجه مجتمعه. إنه العمل الأدبي والفكري وفق الاحتياجات العامة، وفي ضوء البيئة، وتحت إكراهات المرحلة التاريخية، واستجابة للشعور الغالب بالأمانة والالتزام تجاه رسالة الأديب المفكر.

في ظل الحركة الأدبية الحديثة في السعودية، قام (عبدالفتاح أبو مدين) بهذا الدور تقريبًا، بدرجة لا يليق معها، لمؤرّخي تاريخ الأدب السعودي الحديث، تجاوز دوره أو تأثيره خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين، حتى أنه يمكن القول، إنّ (أبو مدين) صار **أديبًا فكريًا ومشروعًا حداثيًا** بدرجة عالية.

**(1-1) أهداف البحث**: القراءة النقدية في كتب (**أمواج وأثباج، في مُعترك الحياة، الحياة بين كلمات**) للكاتب السعودي (عبدالفتاح أبو مدين) تهدفُ إلى رصد **الاتجاهات الأدبية فيها**؛ كالانطباعية والتلقّي العفوي، إصدار أحكام القيمة الحادة، اتّساق عين النقد، تفنيد الآراء والأفكار، إثارة القضايا الأدبية. وكذلك تسجيل **الأنماط الفكرية بها**؛ كالدعوة إلى النهوض بالأدب ومؤسساته، النزعة الإصلاحية، الانحياز الفكري للثقافة الإسلامية، الاحتفاء الشديد بالطموح وأصحابه، وأخيرًا الدعوة إلى تأريخ النقد والمعارك الفكرية.

**(1-2) أهمية البحث**: ترجع أهميةُ هذه القراءة إلى عدم وجود دراسات نقدية سابقة تطرّقت لموضوع الكتب الثلاثة، كما أنّ هذه الكتب تقفُ شاهدًا ماديًا، قرابة نصف قرن، على مسيرة (أبو مدين) الأدبية والفكرية بمجتمعه السعودي، الأمر الذي يساعدنا على الوقوف على دوره في الحركة الأدبية والثقافية بالسعودية، وموقعه من تاريخ الأدب السعودي الحديث.

**(1-3) أسئلة البحث**: تسعى هذه الدراسةُ إلى الإجابة عن أسئلةٍ تدورُ حول أسباب افتقار (أبو مدين) إلى منهج نقدي محدّد في كتاباته؟ وما مظاهر اتساقه إزاء منقوديه؟ وكيف أثبت أنه صاحب رسالة ونزعة إصلاحية؟ وكيف وزن الأخيلة والآراء بميزان العقيدة لا بميزان النقد؟ ولماذا احتفى بأصحاب الطموح؟ وغيرها من الأسئلة التي يستجدها البحث.

**(1-4) فرضية البحث**: تقوم فرضيةُ البحث على أنَّ تاريخ الأدب السعودي يؤمن بدور (أبو مدين) الفكري والإداري أكثر من إيمانه بدوره الأدبي.

**(1-5) مادة البحث**: يقومُ البحثُ على تقديم قراءة نقدية للمقالات والدراسات المجمّعة والمنشورة في ثلاثة كتب من إصدارات النادي الأدبي الثقافي بجدة؛ وهي: **أمواج وأثباج** الطبعة الثانية 1985م، **في مُعترك الحياة** الطبعة الأولى 1982م، **الحياة بين كلمات** الطبعة الأولى 2002م.

هذه الكتب، للمؤلف (**عبدالفتاح أبو مدين**): وهو أديب وإعلامي وناقد سعودي. وُلد في بنغازي الغرب عام (1925م). في التاسعة عشرة من عمره، انتقل إلى (المدينة المنورة) للعيش في كنف خاله، ومنها إلى (جدة) حيث عمل في العديد من الوظائف؛ أبرزها رئاسته للنادي الأدبي التي تخطت ربع قرن من الزمان. له اثنا عشر كتابًا في النقد والبحوث والمقالات الأدبية والسيرة. حمل لواء التنوير، وتبنّى الحراك الثقافي، وواجه التشدّد الفكري في السعودية. حصل على وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى. تُوفي في (جدة) أول ديسمبر عام (2019م).

**(1–6) منهجية البحث:** ترى هذه الدراسةُ أنّ نقد النقد، قد يكون الأجدى والأكثر فاعليةً في تحليل جمالية تلقّي الشعر السعودي عند (أبو مدين). من هنا، جاءت الدراسةُ في ثلاثة مباحث: عالج أولها وثانيها الاتجاهات الأدبية والفكرية في كتاباته، وركّز ثالثها على موقعه ودوره في الحركة الأدبية الحديثة بالسعودية.

## 1. الاتجاهات الأدبية في كتابات أبي مدين

إنّ أبرز ما كتبه (أبو مدين)، هو ثلاثة أجناس أدبية هي: المقالة والدراسة والسيرة؛ المقالة بأنواعها، والدراسة الأدبية، والسيرة بنوعَيْها الذاتية والغيرية. احتلت المقالة والدراسة الأدبية صدارة مشهده الإبداعي؛ لأنه قارب فيهما أمورًا عديدة؛ كدواوين الشعر والقصائد والمجلات والسلاسل الأدبية والكتب والمؤتمرات، وأثار من خلالهما القضايا الشائكة، وسجّل فيهما معاركه الأدبية، ومن ثَمّ تجلّت فيهما أبرز اتجاهاته الأدبية التي نتعرّف عليها في هذا المبحث.

### (1–1) الانطباعية والتلقّي العفوي

اعتمد (أبو مدين) في مقارباته النقدية على **الذائقة الانطباعية والتلقّي العفوي له وللمتلقّي في آن، حيث كان يقوم بتقريب المعاني وتبسيط الأفكار** والتعليق عليها بوضوح واختصار، خاصة مع النماذج الجيدة، أو الإشارة إلى قلق الألفاظ ورداءة الأسلوب وتفكُّك الموضوع وركاكة الأفكار وتقديم اقتراحات لكلمات بديلة، وكان دائمًا ما يكرر عبارة (لا تستحقُ الوقوف عندها) إزاء النماذج غير الجيدة. كما كان يقفُ على بعض **عيوب الوزن والقافية، وبعض الأخطاء اللغوية والنحوية**، كقوله معلّقًا على بعض قصائد ديوان (همسات) للشاعر (طاهر زمخشري): (وهي في صفحة الزمان كتاب ... وهي في الكون ملحة سمحاء) وكلمة (سمحاء) ليست صحيحة الصيغة والصحيح المتفق عليه هو (سمحة)... أما قوله: (أنت صورته وأبدعت منه ... سيدًا ظالما لخدن سود) وفي هذا خطأ نحْوي، إذْ أنّ الخدن مفرد، وسود جمع، والصفة يجب أن تتبع الموصوف في جميع أحواله". (أبو مدين، 1985م، 195: 197)

مع النماذج الجيدة من القصائد، **زاوج (أبو مدين) أحيانًا بين الإسهاب في الشرح والتوضيح، وبين الاكتفاء بالإشارة إلى جودتها أو الاكتفاء بنقل أبيات مختارة منها**، مفسّرًا ذلك بضيق المجال والبعد عن الإطالة، رادًّا المتلقّي إلى ذائقته وثقافته الخاصة؛ كقوله مثلًا عن ديوان (ليالي الهرم): "هكذا نتركُ الديوان بعد هذه الجولة، ولم أعرض لجميع قصائده، ولعلّ منها ما يستحقُ الوقوف، ومنها ما لا يستحقه، تركتُ هذا وذاك تخلّصًا من الإطالة، التي قد تكون مملة". (أبو مدين، 1985م، 64) وقوله مثلًا عن

(طاهر زمخشري): "القصيدة التي سُمي باسمها ديوانُه (أصداء الرابية)، وهذه القصيدة عتاب وجّهه الشاعرُ إلى أحد أصدقائه، وهي خفيفة في ألفاظها، سهلة في معانيها". (أبو مدين، 1985م، 148)

رغم أنّ الكتب الثلاثة، موضوع هذه الدراسة، تؤكد هذه الصفة الغالبة على مقاربات (أبو مدين) النقدية، إلا أنّ مقاربة وحيدة خرجت عن هذا النسق وهي **قراءته لديوان (نجوى) للشاعر (ماجد الحسيني) والتي أظهر بها تطورًا في بعض أدواته**، حيث استعان بآليات جديدة؛ كالحديث عن العتبات النقدية متوقّفًا أمام عناوين الدواوين والدوافع إلى تسميتها والإهداء والعناوين الداخلية، كما أجرى موازنة نقدية بين الشاعرين (علي الجارم وماجد الحسيني) باحثًا عن مظاهر تأثُّر اللاحق بالسابق. (أبو مدين، 2002م، 254: 287)

إذًا، كشفت مقاربات (أبو مدين) النقدية عن افتقارها لمنهج نقدي محدّد المعالم؛ لاعتماده الواضح على ذائقته الخاصة، وثقافته الذاتية، وخبرته الطويلة التي اكتسبها من خلال دأبه على القراءة ومثابرته على المتابعة والبحث، وقدرته على التعليق والكتابة، غير متقيّد بمدرسة نقدية لها فروض وآليات وإجراءات صارمة.

**(1–2) أحكام قيمة قاطعة وحادة**

دأب (أبو مدين) على إصدار أحكام قيمة في معظم كتاباته، هذه الأحكام كانت في أغلبها قاطعةٌ حادّةٌ بدرجة أظهرت شيئًا من التجريح والسخرية والاستفزاز والطعن والتحدّي والإفحام، ووصلت أحيانًا إلى استعداء بعض المنقودين الذين كان يطالبهم كثيرًا بالتحلّي برحابة الصدر، والشواهد على ذلك تستعصي على الحصر.

الشاعر (صالح جودت) بعد تنصيبه لـ (أحمد شوقي) سيدًا لشعراء الأولين والآخرين، ردّ عليه (أبو مدين) متحدّيًا بأنه "إذا استطاع أن يقنعه وحده بالدليل فحيهلا به، **وهو أعجز من أن يقنع**" (أبو مدين، 1985م، 53)، ومع (مُحَمَّد فريد سيالة) الذي نادى بمساواة المرأة بالرجل، استفزّه بقوله: (وأستطيعُ أنْ **أقول بتحدٍّ إنّ سيالة لا يعرف من الإسلام إلا اسمه**". (أبو مدين، 1985م، 248)

كما قلّل من شعر (صالح جودت) قائلًا: "إني أسمّي هذا الشعر **بشعر الصحافة** إذا كان للصحافة شعرٌ". (أبو مدين، 1985م، 65) ولم ينجُ شعر (مُحَمَّد مهدي الجواهري) من هذا التقليل أيضًا، حيث قال عنه: "وأوشكُ أن أذهب بعيدًا، إلى أنّ الشاعر الكبير، **لم يُعن بشعره**، في الأمة العربية وإحنها إلا في مناطق محدودة ضيقة، لا تتجاوز أجزاء من الشرق العربي، أما بقية الأمة العربية والإسلامية، فإذا

تحدّث عنها الشاعرُ فليس في قوله عمق، وإنما هو **يتكلّف ما يقول**، كأنه مُكرهٌ على ذلك". (أبو مدين، 2002م، 77)

عندما تبنّى (مُحَمَّد فريد سيالة) دعوة (قاسم أمين) بالمساواة بين المرأة والرجل، طعن فيه (أبو مدين) بقوله: "إنّ سيالة **يتخبّط في رأيه** ظنًا منه أنه سيحرر نصرًا ويخيف غيره فيخشاه من بذاءة لسانه... إنّ صاحبنا **أجهلُ من فراشة** لأنه لا يُحسن قراءة القرآن ولعله لا يعقله... إنّ التطور يا صاحبي غير الإسلام ولهذا **أنت مضطربٌ** تتمسّكُ بالإسلام وتدعو إلى غير خُلُقه". (أبو مدين، 1985م، 244: 248)

وسخر، أيضًا، من كُتب (عبدالمنعم الخفاجي) بقوله: (فإذا كان الأستاذ الخفاجي مؤمنًا بكفاحه ومؤمنًا بأنه صاحب مدرسة وأنّ ما أنتجه يستحقُ التقدير والإكبار فلا حاجةَ إذن لهذا الغُثاء يجمعه ويطبعه ويوزّعه... هذه ملاحظات عابرة سريعة أسهمتُ بها بعد أنْ أعرض صاحبي مُحَمَّد سعيد باعشن عن نشر رأيه الذي كتبه بهذا الصدد **ومصدر الإحجام هو الاحتفاظ بصداقة الأستاذ الخفاجي وهداياه**". (أبو مدين، 1985م، 349)

أمّا دراسته عن كتاب لويس عوض (مقدمة في فقة اللغة العربية) فبدأها بقوله: "سنرى عجره وبجره من خلال الوقفات المتتابعة، لأن الكتاب ليس فيه شيء يُعتد به أو يُعتمد عليه، فمحتواه ألفاظ شتى من سفاسف، يحاول جامعُها أن ينسبها إلى شعوب الأرض، ومنهم أهل الضاد، ونحن المسلمين العرب، والهدف هو الإساءة إلى لغتنا ونسفها، لأنها في رأيه وخياله المريض لغةٌ من اللغات التي بادت أو التي تغيرت بعد اندثار الجذور القديمة"، **وتسير الدراسة على هذه الشاكلة من التهكُّم والطعن والتجريح والسِّباب والانتقاص على مدار تسعين صفحة** لا تكاد تخلو منها صفحة، كقوله مثلًا: "المفتري، الدعيّ، المنحرف، الجهول، هكذا في وقاحة، الجهبذ، العُتُلّ، الأعمى، الغافل، الضال والضلالي، الظالم لنفسه ولغيره، عليه من الله ما يستحق، الحاقد الذليل، أمثاله من الملوّثين ذوي الفتن والدسّ، الأثيم، عقله المريض ونفسه المريضة، المختلق العابث الفوضوي، الملفّق، المعتوه" (أبو مدين، 2002م، 103: 194)

يبدو أنّ (أبو مدين) تضرّر كثيرًا في محيطه الأدبي والثقافي بسبب آرائه النقدية الحادة، فلانت عريكته قليلًا، وغيّر من معجمه، وطوّر من أسلوبه، كقوله مترقّقًا للشاعر (مُحَمَّد هاشم رشيد) في ختام مقاربة ديوانه (في ظلال السماء): "وبعد.. فهذه وقفة مع هذا الشعر الجميل الصادق المحلّق الرائع، ذكرتُ بعض ما تراءى لي من هِنات وبعض الجميل فيه، وجميله كثير، وليس جديدًا ولا كثيرًا أن أقول لشاعرنا لا

فُضّ فوك ولا بر عادوك، فشعرُك حيٌّ، وأنت جديرٌ بالثناء والتقدير والحفاوة، وأنت شاعرٌ ومجدّدٌ ومبدعٌ، **وأخطاؤك يسيرة، وأنت وأنا نخطئ، لأننا بشر**". (أبو مدين، 1982م، 195) ومثله، قوله معتذرًا للدكتور (مبارك المعبدي) بعد استعراضه للمجلة الثقافية بكلية معلّمي تبوك: "**وأعتذرُ لصديقي**.. إنْ أثقلتُ عليه في نقدي، ذلك أني أريدُ له الخير، كما أريده لنفسي، ومن أجل أن يقوّم أسلوبه ليكون شائقًا جذابًا جميلًا، وقد تجاوزتُ عن بعض الأخطاء والهِنات حتى لا أُغضب أخي العزيز أكثر". (أبو مدين، 2002م، 405)

واستجلاءً للأمر، نحتاج أن نقول: إنّ (أبو مدين) **كان صريحًا حدّ الإيلام في مقارباته النقدية؛** رغبةً منه في كشف الستار عن مسرح الإبداع **وتنقية الأدب الحي من الضحالة والضعف** وصرف الأنظار المنخدعة إلى الإنتاج الحقيقي وتعريف الناس بالإسهامات الجيدة، لكنه مع مرور الأيام اكتسب شيئًا من الحصافة والمداراة متخلّيًا عن السخرية والطعن والتجريح، مستأنسًا بعبارات الدعم والتشجيع والاعتذار اللطيف إذا لزم الأمر، إذا أُضطر إلى حدّته القديمة، كفعلته مع الدكتورة (مريم البغدادي) في ديوانها (عواطف إنسانية): "**وأنا أعتذر للدكتورة** إذا لم يرُقها ما أقول وأنا لا أقدم شيئًا من عندي وإنما نماذج من قولها الذي أسمته شعرًا، وما هو بشعر، في حقيقته، وإنما هو نظم مختل المعاني، ومتنافر الألفاظ، فيه نبوء، لا تُسيغه الأذنُ العربيةُ، التي ألفت أن تصيخ للشعر الجيد المطرب". (أبو مدين، 1982م، 268)

**(3–1) اتّساق عين النقد**

كان (أبو مدين) ينظر لكتابات بعض منقوديه بعين الرضا مرة وعين السخط أخرى، لكنه كان متّسقًا في النظر بعين الرضا لأسماء، ومتّسقًا في النظر بعين السخط لأسماء أخرى، خاصة في كتاباته المبكرة.

كان (أبو مدين) **إذا راقته الموهبة بحث في إنتاجها عن مواطن القوة والإبداع واقتصر على الشواهد الجيدة متجاوزًا عن الهِنات**، كما فعل مثلًا مع ديوان (الروض الملتهب) للشاعر (أحمد باعطب) حيث ختم مقاربته بقوله: "وقد صرفتُ النظر عن هِنات يسيرة، إلى جانب بعض أخطاء التشكيل، وُضعت خطأ، يدركُها القارئ الواعي، وإني أُحيي شاعرنا المجيد، وأرجو له مزيدًا من النُّجح ومزيدًا من العطاء الشعري". (أبو مدين، 1982م، 185) أمّا إذا راقته الأفكار والموضوعات المطروحة توقّع لصاحبها النضوج الشعري فنيًا وموضوعاتيًا. وحين يجمع الشاعر أو الكاتب بين الموهبة الصافية والأفكار السامية يحتفي به ويشجّعه. أما إذا افتقد إليهما معًا فإنه كان يسلك معه مسلكًا تهكميًا لاذعًا وحادًا.

كان (حسن القرشي)؛ أبرز الشعراء الذين اتّسق معهم (أبو مدين) في النظر لإنتاجهم بعين الرضا، حيث شهد له بالموهبة والشاعرية والتدرّج في الإتقان، وكان أمام **الأخطاء اللغوية والفنية يتغافلُ عنها** باعتبارها هِناتٍ طفيفةً لا تؤثر، رغم أنها بلغت في قصيدة واحدة أربعة عشر موضعًا، لكنه قرر أنّ "هذه الأخطاء لا تغضّ من قيمتها وجمالها الفني". (أبو مدين، 1985م، 367) وحين جمع الشاعر التونسي (عمر السعيدي) بين **الأذن الموسيقية والسلامة اللغوية**، شهد له (أبو مدين) بالموهبة والشاعرية **رغم عدم معرفة الشاعر بقواعد النحو والصرف والعُروض**، واختار من ديوانه القصائد الثورية الوطنية ليس لأنها تناسب المرحلة التاريخية التي كان فيها العرب يجاهدون مستعمرينهم فحسب، بل لأنها وافقت روح (أبو مدين) المحبة للكفاح. وبنفس العين الراضية، كانت نظرته لشعر (حمزة شحاته) وتجربته الإبداعية، حيث كان حفيًا ومعجبًا بها، فوصفه بالشاعر المجوّد والبارع والعبقري والموهوب، والذي ينحتُ من نفسه وقلبه شعره، والمبدع الذي يُعتد بشعره. (أبو مدين، 2002م، 195: 241)

أكثرُ الذين نظر إليهم (أبو مدين) بعين السُّخط في كتاباته المبكّرة، هو الشاعر (طاهر زمخشري)؛ حيث انتقص من شعره كثيرًا، **ودعاه في أكثر من موضع إلى الانصراف عن الشعر إلى شيء آخر يحسنه، حتى بدا كأنه يستعديه، أو يمارس ضده نوعًا من التعنُّت والهدم**. فقد قال عنه: إنه "نصف شاعر ضحل المادة، في فطرته شيء من التقليد... فأمّا ضحالة مادته فتظهر في أخطائه في اللغة والمعنى والوزن". (أبو مدين، 1985م، 39: 49) وتعليقًا على ديوانه (أصداء الرابية) قال عن بعض قصائده: "إنّ المعاني والموسيقى عليهما السلام، **ولا نستطيع أن نطلق على هذه الفوضى الكلامية أو الكلمات المرصوفة من غير نظام يفرضه الفن ويحدده، الشعر**. أجل لا نستطيع أن نسمي هذا شعرًا ولكنه لفق لا أكثر ولا أقل". (أبو مدين، 1985م، 142: 143) وفي مكان آخر، نعته بالأديب لا الشاعر، عندما قارب ديوانه (همسات)، قائلًا: "قسّم الأديب الزمخشري ديوانه إلى أربعة أقسام... وإذا تجاوزت المقدمة أو التحية كما يسميها كاتبها، فلا نجد بُدًّا من أن **نصفها بالتفاهة** على أقل تقدير". (أبو مدين، 1985م، 192)

لكنْ، بعدما نضج (زمخشري) شعريًا، ونضج (أبو مدين) نقديًا، تخلّى الثاني عن حدّته وهجومه حتى أنه **نادى بتكريم الأول ضمن زُمرة الروّاد الذين نادى بتكريمهم رفعًا لمعنوياتهم وتقديرًا لمسيرتهم**، فقال: "طاهر زمخشري كنموذج، أولى بالتكريم المادي والمعنوي، وإباء هذا الشاعر الأديب، يجعله دائمًا في شموخ نفسي... لم أقرأ لطاهر هجوًا ولا ذمًّا لأحد، حتى شكواه من الزمان كان محدودًا، وفي أشكال مداعبات، وفي كلمات عابرة يوصل إليها موقف أو مناسبة". (أبو مدين، 1982م، 420)

**(1–4) تفنيد الآراء**

بدا (أبو مدين) مستثارًا لأقل غبارة فكرية تتحرك ناحيته، في معظم حالاته، فيهبُّ إليها شاهرًا سيفه، وكان لا يترك شيئًا مقروءًا ولا مسموعًا ولا مرئيًا يمرّ به دون إعمال عقل ورويّة أو دون إبداء رأي فيه بالموافقة أو بالمخالفة أو بالاقتراح. عندما صرّح (صالح جودت) بأنّ (**مقامات الحريري سخافات** ضيّع فيها الرجل وقته)، اتهمه بالإسراف وقصور العقل عن استيعاب المقامات أو فهمها على حقيقتها لأنّ لها نهجًا مستقلًا لا نستطيعُ أن نعدّه سخافات. وعندما نصَّب صالح جودت (**أحمد شوقي) أميرًا وسيدًا للشعر في جميع العصور**، اتهمه (أبو مدين) بالغلوّ وإرسال الكلام على عواهنه دون برهان. (أبو مدين، 1985م، 50: 53)

كما ناضل (أبو مدين) ضد **المناداة بإلغاء قواعد اللغة العربية**، مقررًا أنّ "العربية لغة موسيقية ذات إيقاع رنّان، ولعل قواعدها هي التي أوجدت لها موسيقيتها العذبة، لأنها لو فقدت قواعدها وأصولها ذهبت منها تلك الميزة". (أبو مدين، 1985م، 68، 69) ثم ناهض **الرأي المنتصر لشعر المناسبات بأنه أسمى أنواع الشعر**، واعتبره رأيًا فجًّا لا يُؤخذ به، رغم ما كان لهذا الشعر على مرّ العصور من صدى خاص وقُربى لذوي الجاه من الأمراء والحكّام والوزراء؛ لأننا في عصر مختلف وظرف أيضًا مختلف. (أبو مدين، 1985م، 220، 221)

وحين صرّح (عبدالمعنم خفاجي) بأنّ كتابه (من تاريخنا المعاصر) "به دراسات موسّعة، وصور عميقة عن الشعر الحجازي المعاصر وموضوعات خطيرة ونقد أدبي ومشكلات فكر معاصرة"، استنكر ذلك لأنّ الكتاب من وجهة نظره "**كشكول**، وربما في الكشاكيل ما هو أصدق وخير مما في هذا الكتاب". (أبو مدين، 1985م، 341، 342) أما كتاب خليفة التليسي (الشابي وجيران)، فهاجمه بقوله إنه: "لم يكن دراسة بالمعنى الصحيح لهذين الأديبين كما يتبادر إلى الذهن بمجرد قراءة عنوان الكتاب، وإنما هذا الكتاب يختصّ بالشابي وحده، والمؤلف لم يتحدث في كتابه عن جبران إلا في خمس عشرة صفحة، و**الكتاب كله معقود على الشابي، على خلاف ما يشير العنوان**". (أبو مدين، 1985م، 404، 405)

**(1–5) القضايا الأدبية**

(أبو مدين) ابنُ بيئته وعصره، تأثّر بما عاصره واهتم بما أرّقه؛ لذلك تناول الكثير من القضايا الأدبية الملحّة وقتها مدليًا فيها برأيه، ومنها: الابتداع في الأدب، المناداة بإلغاء قواعد اللغة، النقد الصحفي والأدبي، الشعر المنثور، رسالة النقد، لقب أستاذ جيل، الشعر المهجري، الدفاع عن الأدب القديم ودور

الأدب في بناء الشخصية، تضمين الكتب بالعامية، التزام وحرية الأدب، مؤهّلات القاص، مستقبل الشعر العربي، مقاييس النقد والشعر في العالم، دور الأندية الأدبية، ونذكر منها على سبيل المثال قوله في النقد والشعر الحر.

حاول (أبو مدين) **تبسيط معنى النقد** وتقريب واجبات الناقد، فالنقد الصحيح من وجهة نظره هو "النقد الذي لا يغضب أحدًا ولا يصادق أحدًا". (أبو مدين، 1985م، 77) لذلك رأى أنه من **واجبات الناقد**، دراسة الأدب الغربي دراسة علمية محايدة لا تقل عن دراسته ومعرفته بالأدب العربي. (أبو مدين، 1985م، 453) كان واضحًا في رفضه الشديد للشعر المرسل أو الشعر الحر، حيث قال: "إنّ ما يسمى بالشعر المنثور ليس بتجديد، ولكنه **انحلال رُزئ به الشعر الرصين** على الأصح". (أبو مدين، 1985م، 96) وقال أيضًا: "هذا **اللون السخيف الذي بُلينا به** وبُليت به اللغة العربية.. لأن هذا اللون من الكلام لا يصحُ أن نطلق عليه كلمة شعر بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة". (أبو مدين، 1985م، 430، 431)

## 2. الاتجاهات الفكرية في كتابات أبي مدين

عندما يدركُ الأديب ماهية دوره المنوط به، في ضوء ظروف وطنه الاجتماعية والتاريخية، ويقوم به ما وسعته الطاقة، فإنه يكون صاحب رسالة، يتكشّف عمقُها ودورُها الريادي مع كل استجابة جديدة لمطالبه لا تتقادم بمرور الزمن. والمهموم في كتاباته بالشأن العام، والذي تتحقق مطالبه تباعًا في مجتمعه يصبح مفكرًا ورائدًا ومصلحًا اجتماعيًا. ولا نجافي الحقيقة، إذا قلنا إنّ الأديب (أبو مدين) مفكرٌ بدرجة كبيرة، وكتاباته تكشف بوضوح عن اتجاهاته الفكرية ودوره الريادي في بلده.

### (2–1) الدعوة إلى النهوض بالأدب ومؤسساته

ولمسايرة الآداب الأخرى المتجدّدة كل يوم في النشر والجودة والذيوع، دأب (أبو مدين) على دعوته بنهضة الأدب ومؤسساته متّخذًا في سبيل ذلك خطوات كثيرة منها:

**الدعوة إلى إنتاج أدب يناسب المرحلة التاريخية** التي كانت تمرّ بها الأمةُ العربيةُ وقت كفاحها ضد الاستعمار، وإلّا ينصرف الأدباءُ لشيء يحسنونه، ففي مقاربته لديوان (همسات) للشاعر (طاهر زمخشري)، أشار متهكّمًا في المقدمة إلى أنّ الساحة الأدبية تضجّ بالدواوين المبتذلة، وأنّ أصحابها يسْبحون في ضحضاح راكد، وأنهم لو انصرفوا إلى شيء آخر يحسنونه لكان خيرًا لهم وأجدى لغيرهم لإعطاء فرصة للموهوبين المهمومين بالعروبة والنضال والتطور وكفاح الشعوب ضد المحتلين الغاشمين. (أبو مدين، 1985م، 190، 191) لذلك، احتفى (أبو مدين) بديوان الشاعر السوري شوقي بغدادي

(أكثر من قلب واحد) **لشيوع الطابع الوطني فيه وارتفاع صوت العروبة**، حيث قال: "ما أنسب هذا الوقت لتنطلق فيه ألسنةُ الشعراء، مشيدة بتكتل صفوف العرب موحّدة الكلمة في مجالات الكفاح من أجل الحرية، ومن أجل الحق الصراح، ومن أجل الحياة الكريمة". (أبو مدين، 1985م، 322)

**الإيمان بعروبة الأدب بعيدًا عن قوميته**، حيث وقف في مقالته (أكثر من قلب) على مقولة الدكتور طه حسين عن أن: "زعامة الأدب قد انتقلت من القاهرة إلى بيروت، خاصة بعد احتجاب مجلتي (الرسالة، الثقافة) في القاهرة، وظهور مجلتي (الأديب، الآداب) في بيروت"، وقد ثارت ثائرةُ بعض الكُتّاب المصريين وغير المصريين على هذا الحكم غيرةً على الأدب المصري وحماسةً له، ليقول (أبو مدين) عن ذلك: "لا حرج إذا انتقل الأدب من بلد إلى آخر، أو انقسم وقوي في مكان وضعف في آخر". (أبو مدين، 1985م، 298)

**المطالبة بغربلة الأعمال الإبداعية والكتابات الأدبية** وتنقيتها من مظاهر الضعف واختصارها، ففي مقاربته لديوان (أصداء الرابية) للشاعر (طاهر زمخشري) قال: "كان في إمكان الأستاذ طاهر، وقد قضى قرابة العشرين عامًا في محاولة قرض الشعر، أن يختار الأصلح فيقدّمه إلى قرائه، وأن ينبذ الردئ، وهو كثير في شعره. كان ينبغي أن ينبذه وراء ظهره فلا يثقل به على قرّائه... **فلو كانت دواوين صاحبي الأربعة غُربلت فجائت ديوانًا واحدًا**، يحمل بين طيّاته الجيد من الشعر، إذا كان يؤمن بشاعريته، وأنّ نظمه يستطيع أن يبقى وأن يستحق كلمة الشعر، وإلا فما أحراه أن ينصرف عن الشعر إلى غيره مما يجيده في مجال القصة أو المقالة". (أبو مدين، 1985م، 143) وفي مقالته (الشعر والتجديد) يدعو المؤلف (مُحَمَّد عبدالمنعم خفاجي) لنفس الإجراء بقوله: "لا نجدُ للمؤلف جهدًا يستحق أن نعدّه، وإنما هو جهد الجامع المتعجّل. ولو عُني الأستاذ الخفاجي بالدرس، **وأخرج لنا عشرة كتب ذات أبحاث مركّزة لكان خيرًا من مائة وخمسين كتابًا أو يزيد**، لأن المؤلف مازال مستمرًا في الجمع والتأليف والكتابة والطبع إلى غير ذلك... ويبدو واضحًا أنه ليس له شخصية فيما كتب.. ولو كلّفنا تلميذًا في مدرسة ابتدائية أو أقل من هذا المستوى لجمع هذه النماذج في كتاب وطبعه، لأدى هذه المهمة في غير مشقة ولا عناء". (أبو مدين، 1985م، 333: 339) ولا نجزم أن كتابات (أبو مدين) لم تؤتِ أُكُلها بعد استمرار طاهر زمخشري كشاعر، ولكن بعد أن تطوّر شعر (طاهر زمخشري) بشكل ملحوظ حتى صار علامة من علامات الشعر السعودي لتلك الفترة، ولو لم يجد في بداياته المتعثّرة نقدًا محايدًا لما عرف جادة الطريق، لذلك لا ننكر أبدًا دور (أبو مدين) المؤمن برسالته في النهوض بالأدب وتقويم رسالته.

**اقتراح وسائل ناجعة للنهوض بالأدب**، ومنها ما ذكره في مقالته (كيف ننهض بأدبنا؟): "التزوّد من الآداب الممتازة التي تصدّرها الشعوب المتحضّرة للاستفادة منها، التأنّي والصبر والعمل المتواصل، تشجيع الأديب ماديًا ومعنويًا ومنحه الجوائز، إنشاء مجمع أدبي يختار الصالح للنشر، مساعدة المجلات الأدبية ماديًا، المشاركة في المعارض والأندية والمؤتمرات الأدبية، مكافحة الكتب الرخيصة والأجنبية الضارة، إجراء مسابقات بجوائز للتشجيع، مساعدة بعض الأدباء اللامعين على طباعة إنتاجهم وتوزيعه أو تعويضهم ماديًا إذا طبع إنتاجه على حسابه الخاص، ترجمة النتاج الجيد ونشره لقراءته في أوروبا والعالم الجديد". (أبو مدين، 1985م، 249: 263) ولا يخفى علينا، أنّ هذه الإجراءات التي نادى بها (أبو مدين) للنهوض بالأدب، نجد بعضها قد تحقق فعليًّا ولو متأخرًا؛ فالندوات والمؤتمرات والمعارض لا تتوقف اليوم، وطباعة الكتب ونشرها وتعويض أصحابها أصبح نهجًا ثقافيًا، والجوائز الأدبية والثقافية تظهر كل يوم بأسماء مختلفة.

**(2–2) النزعة الإصلاحية**

تقمّص (أبو مدين) دور الإصلاحيين داعيًا إلى إجراء إصلاحات ملحّة لمؤسسات بارزة أهمها الأسرة والصحافة والجامعة. حذّر (أبو مدين) من تفشّي بعض الأمراض الاجتماعية؛ كتأثير الفقر على فرص التعليم، و**عقبات الزواج** التي يئن منها المجتمع خاصة الرجل؛ مثل "المهور المرتفعة والهدايا وتسلُّط أهل العروس والاستيلاء على المهر والموائد المتسعة وليالي السهر المرهقة وأنواع العتاب القاسي للعريس إزاء أي تقصير وتَبِعة الديون الطائلة المؤدية إلى التهرب والاختفاء". (أبو مدين، 1985م، 212: 218) وكذلك، "تأمين الفيديوتيب وقوامة المرأة على الرجل وتحكُّمها في عقله والإصرار على التمسّك بالمظاهر والإسراف والمغالاة في المهور". (أبو مدين، 1982م، 593، 594) وللأسف الشديد، **لا يزال المجتمع السعودي يعاني هذه الأمراض وأكثر، خاصة في ظلّ استمرار تغليظ شروط الزواج**.

وإيمانًا منه بأنّ الصحافة رسالة وخدمة وليست تجارة، وأنها واجهةٌ ومظهرٌ حضاري يُقاس به رقي البلاد، ويُقاس بها حريتها ونجاحها في أداء دورها الريادي، وأنها ليست خبرًا ولا صورة، إنما هي قبل كل شيء رأي ناضج واعٍ متزن قويّ صادق، دعا (أبو مدين) إلى دعم الصحافة والصحفيين، وأثار في أكثر من مقالة وأكثر من موضع **مكابدات الصحافة في بلاده من واقع خبرته العملية** كأقدم صاحب صحيفة محلية. ومن المشاكل التي وقف عليها (أبو مدين): **العجز المالي** الذي يخلخل كيان المؤسسة وينعكس على رسالتها، انعدام الغطاء الآمن للصحفي وعدم إغراء العاملين بالصحافة أو استقطاب الكفاءات والتخصصات المطلوبة إليها، **عدم وجود شركات توزيع تصل بالإصدارات إلى الأماكن**

**المختلفة**. وعليه، فقد اقترح (أبو مدين) لدعم الصحف ماديًا "أن **تُعامل الصحف التي تحتاج إلى دعم معاملة شركات الكهرباء** التي ضمنت لها الدولة ربحًا محددًا حصيلته 15%، فالكهرباء خدمة والصحافة خدمة ورسالة. بعد ذلك تحاسب الدولة المؤسسات الصحفية إذا قصّرت في دورها المطلوب منها. والمحاسبة ينبغي أن تُحدد إذا كان التقصير إداريًا أو تحريريًا، إذْ المهم أن تؤدي الإدارة دورها، ويؤدي جهاز التحرير دوره كذلك، في ظل نظام متطور للمؤسسات". (أبو مدين، 1982م، 427)

أما وضع الصحفيين المادي المزري، فقد قال عنه إنّ: "**الصحفي عندنا إنسان عادي، ليست له امتيازات ولا تقدير ولا حقوق**، رغم أنّ عمله كبير ومطالب بالمزيد في ساحات المتاعب والمعاناة. كيف نطالب بالتطور والمزيد من التفوق بدون مقابل وهو يرى غيره في بلاد مختلفة يحظى بالرعاية والعناية والتقدير؟!!" (أبو مدين، 1982م، 432) ومن ثَمّ، طالب بتوفير شركة توزيع تنقل الإصدارات وقت صدورها إلى المناطق المطلوبة.

**رفع (أبو مدين) شكايته لولاة الأمر في البلاد، خاصة الأمير (فهد بن عبدالعزيز)، نائب رئيس مجلس الوزراء وقتها**، قائلًا: "وأنا أطرح أمر صحافتنا وعجزها المالي أمام سموّه، ليتفضل بمبادرة كريمة، تنقذ مؤسساتنا الصحفية مما تعانيه ماديًا، بسدّ عجزها القائم، ورفع نسبة المعونة السنوية إلى الحدّ الذي يغطي عجزها، ورفع قيمة الاشتراك، وكذلك رفع نسبة القروض الممنوحة لها لبناء ديار طباعة بما يسدّ تكاليف المطابع الحديثة". (أبو مدين، 1982م، 437)

ولا نظن أنّ دعوة (أبو مدين) الإصلاحية في مجال الصحافة ذهبت هباء؛ فالصحف التي كانت مهددة بالإغلاق لعجزها المادي من عشرات السنين لا تزال متواجدة، مع غيرها، على الساحة داخليًا وخارجيًا، وأظهرت تطورًا ملحوظًا في موادها وطباعتها، وانتشرت المطابع الحديثة في البلاد سواء كانت حكومية أو خاصة، وأُثري الكثير من عمله بالصحافة.

وفي مقالة بعنوان (الحرب والجامعات في بريطانيا)، وقف (أبو مدين) مستعرضًا دور الجامعات في بريطانيا أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية؛ كارتباط الجامعة بالمجتمع مستجيبة لحاجاته وأولوياته، قوامة الجامعة على البحوث والدراسات التي تساعد الأمة في مجال تقدّم العلم وازدياد المعرفة الإنسانية، الجامعة أداة لإذاعة المعارف ونشرها عن طريق التعليم، التحوّل نحو التعليم المهني لزيادة ارتباط الجامعة بالحياة العملية العامة، اعتناء الجامعة بالتربية الخُلُقية التي تُعين الطالب على تربية شخصيته وتحويل نشاطه الفائض لما فيه فائدة للجماعة وتعويده على تحمّل المسؤولية وقبول التضحية. هذه الأفكار؛ استعرضها (أبو مدين) لمقالة عمرها، خمسة وثلاثون عامًا، نُشرت في مجلة (الكاتب المصري) **إيمانًا منه "بدور الجامعات البارز في**

**الحياة العامة، ومساهمتها في توجيه الفكر، وثقة منه في رجال الجامعات السعودية بقدرتهم على التخطيط السليم والنهوض بالجامعات** كي تقوم بدورها في قيادة المجتمع نحو الرقي والوعي والحياة الكريمة". (أبو مدين، 1982م، 245)

في مقالة أخرى بعنوان (من أحاديث الحياة) استعرض (أبو مدين) ندوة تليفزيونية دارت حول **التعليم الجامعي والابتعاث والأستاذ الجامعي السعودي**. ومن القضايا التي أرّقت (أبو مدين) وطالب بالنهوض عليها ومعالجتها وطرح حلول لها: توجيه الطلاب للتعليم الفني مع توفير مغريات مادية ومعادلة الشهادات وزيادة المرتبات وتعديل كادر الوظائف والنظر في جداول المواد الأسبوعية فلا يمتصّ المقرر كل الوقت، وغرس الذوق في نفوس الطلاب. أمّا عقبات التعليم الجامعي فكثيرة؛ منها: وضعية نظام التسجيل التي يجب تعديلها بما يخدم مصلحة الطلاب، قضية المعدل التراكمي والدعوة إلى نظام السنة التحضيرية كأن يُوضع الطالب في الجامعات السعودية في إطار (طالب خاص) في مرحلة التكيّف مع المناخ الجامعي وحين يثبت جدارته وتقدّمه فإنه يُنقل تلقائيًا، مشكلة الإرشاد الأكاديمي وساعات الفراغ والكتاب الجامعي. (أبو مدين، 1982م، 334: 338)

والمتأمّل لوضع الجامعات السعودية اليوم، يتأكّد من أنّ دعوة (أبو مدين) قديمًا، تحققت اليوم على أرض الواقع وزيادة. ربما لا يشكّل (أبو مدين) سببًا مباشرًا في التطوير والتغيير الإيجابي الذي طرأ على الجامعات السعودية، لكنه كان صوتًا وطنيًا صادقًا، وضع يده على مواطن الداء، ونادى بنهضة مؤسسات دولته، وطالب باللحاق بركب الحضارة ومقارعة الأمم المتقدمة، حتى أنه يمكننا القول باطمئنان إنّ (أبو مدين): كان **صاحب رسالة ظلّ مثابرًا على أعبائها، وصاحب نزعة إصلاحية ظلّ وفيّا لها، عاش منشغلًا في كتاباته بالهمّ العام أكثر من انشغاله بهمه الخاص.**

**(3-2) الانحياز الفكري للثقافة الإسلامية**

انحاز (أبو مدين) بشدة للثقافة الإسلامية ومجابهة كل ما يخالفها، سواء في مقالاته الدينية أو مقالاته النقدية التي امتزجت أحيانًا بثقافته الإسلامية وملاحظاته العقدية. في استعراضه لكتاب (الشاعران المتشابهان)، قال عن قصيدة (خلوة) للشاعر (التيجاني بشير): "والبيت الثاني عبارة عن **كفر صريح، أترفّع عن إثباته،** وكان ينبغي على المؤلف ألا يثبت مثل هذا الكفر وهو يدرس لنا شاعرًا أو شاعرين، ولكنه لا يُعنى بالتمحيص والدرس الدقيق بشاعرَيْه أو بنتاجهما". (أبو مدين، 1985م، 132)

وفي دراسته (الجواهري) التي استعرض فيها كتابَيْن عن الشاعر (مُحَمَّد مهدي الجواهري)، يسترعى الانتباه ملاحظاتُ (أبو مدين) العقدية على الشعر والنقد، والأخيلة والآراء في آن، ومنها على سبيل

المثال لا الحصر: استنكر (أبو مدين) على (الجواهري) قوله: "رسمت كفُّ الطبيعة لوحًا، مزمار داوود أقوى من نبوته"، حيث اشتط في تأويل الصورة الفنية وأخرجها تمامًا من إطارها المجازي، قائلًا: "إنّ الطبيعة لا ترسم شيئًا، ولا تصنع شيئًا، ذلك أنّ كل شيء من صُنع الله. أمّا قوله (مزمار داوود أقوى من نبوته) فذلك سفسطة وعبث وتخريف، وهل يقول إنسان يؤمنُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر، هل يقول إنّ مزامير داوود عليه السلام أقوى محتوى، وأبلغ من الرسالة في مضامينها؟ إنه هُراء وانحراف عن جادة الإسلام". (أبو مدين، 2002م، 56)

وحين احتفى الكاتب بشعر (الجواهري) قائلًا: "إنّ الشاعر مدّ إلينا بالشعر سبيلا للهداية والرشاد"، علّق (أبو مدين)، متناسيًا مجازية التعبير مجددًا: "هذا كلام باطل، فما كان الشعر يومًا سبيلصا للهداية والرشاد، ولكن جيده الملتزم حكمة". (أبو مدين، 2002م، 58) وحين علّق الكاتب على رثاء الجواهري لجعفر أبي التمن بقوله: "إنّ المنايا تختار الرجال العظام، وهي تتجاوز الخاملين من الكم المهمل من الناس"، تساءل (أبو مدين): "أهذا اعتراض من الكاتب في شيء لا حق له فيه ولا رأي؟! إنها الآجال المحتومة، ولو جنح الكاتب إلى الكتاب العزيز لقرأ فيه قول الحق (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله)." (أبو مدين، 2002م، 87)، وعن قول الشاعر (أقسم بالكافور)... قال: "وإني أستغفر الله من هذا التطاول!" (أبو مدين، 2002م، 90) وأمام قول الشاعر (يملك الزارع ما يزرع لا عبدًا يُسامُ) وتعليق الكاتب: "بأنّ الجواهري يرى أن هذه الأحلام لم تتحقق بصورة كاملة إلا في النظام السوفياتي"، ثارت حفيظة (أبو مدين) قائلًا: "أسأل الكاتب قبل الشاعر الذي رحل: أحقٌّ هذا؟ وهل نظام السماء وعدل الخالق سبحانه وتعالى القائل (ولا يظلمُ ربك أحدًا) ليس فيهما عدالة؟ إذن أنظمة الإسلام العادل التي هي من عند الله لم تحقق ما حققه النظام الشيوعي، الذي أعطى الأرض لزارعيها.! إنّ الجواهري يتجاهل بل ينكر عدل الإسلام في كل شيء، لأنه تحوّل إلى رجل أحمر، والعياذ بالله". (أبو مدين، 2002م، 93) باختصار، يمكننا القول إنّ كثرة الملاحظات العقدية لأبي مدين أخرجت كلامه من باب النقد الأدبي إلى باب الفقه والعقيدة؛ لأنه **صار يزن أخيلة الشعراء وتعبيرات الكُتّاب المجازية بميزان العقيدة أكثر من ميزان النقد.**

أمّا دراسته (مقدمة في فقه اللغة العربية) فهي مراجعة لكتاب (لويس عوض) الذي تصدّى له الأزهر الشريف بمصر فصادره وقتئذ، ووقف له العلماء بالمرصاد مفنّدين أباطيله في حياة الرجل. لذلك، نتساءل: ما فائدة مراجعة (أبو مدين) لهذا الكتاب بعد عمليات المصادرة والتفنيد وموت المؤلف وتأخُّر المراجعة عشرين عامًا؟! ليس لدى الباحث تفسيرٌ سوى **غيرة الرجل على اللغة العربية وعلى الإسلام،**

لكنّ الدراسة تحتاج لغربلة وإعادة تنقية لأنها تحوّلت إلى معركة حامية الوطيس مع خصم غير موجود أصلا، وخرجت الدراسة عن حدود اللياقة البحثية حيث احتشدت فيها الشتائم المقذعة والسباب الحاد والسخرية المقيتة والدعاء على المؤلف والتي كان عليه أن يتفادها مركّزًا على مادة الكتاب لا شخص الكاتب، لكن قلمه في هذه الدراسة كان أكثر حدة ولسانه أكثر حرقة على الرجل، حيث نفى عن لويس عوض أن يكون من أهل اللغة العربية باعتباره قبطيًا، وهذا شيء مستهجن من (أبي مدين). (أبو مدين، 2002م، 103: 195)

**(4–2) الاحتفاء بالطموح وأهله**

وُلد (أبو مدين) في (بنغازي) بليبيا، ثم ألحقه والده بالكُتّاب خوفًا عليه من التجنيد الإجباري إذا التحق بالمدرسة النظامية. ثم تُوفي والده فقيرًا؛ فاشتغل، وهو في الثانية عشرة من عمره، عاملًا في البناء، وفي مقهى، ثم في فرن. بعدها، تمكّن خاله من استقطابه إلى الحجاز رفقة والدته، ثم التحق بمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة، لكنه بعد عام ونصف فقط، أُضطر إلى عدم إكمال دراسته لضيق حال خاله، ثم استقر به المقام في جُدة.

هذه البدايات الصعبة، شكّلت وجدان (أبو مدين) وصنعت عزيمته القوية، وشكّلت مسيرة كفاحه الطويل، وكشفت عن روحه الشغوف بتحصيل العلم والمعرفة، فجاهد حتى أصبح مديرًا لإدارة مؤسسة عكاظ للصحافة، ثم مديرًا لتحرير العدد الأسبوعي من جريدة عكاظ، كما عمل مديرًا لإدارة مؤسسة البلاد للصحافة والنشر، ثم عضوًا في مجلس إدارة النادي الأدبي بجدة، قبل أن يصبح رئيسًا للنادي الثقافي بجدة لمدة 26 عامًا.

لذلك، لا غرابة في احتفاء (أبو مدين) بأصحاب الطموح من الأدباء والمفكرين والوقوف على تجاربهم الثرّة في مقالاته؛ مثل **طه حسين وعباس العقاد وتوفيق الحكيم وبنت الشاطئ**. الدكتور طه حسين أحاطت به ظروف قاسية بعدما فقد بصره طفلًا وشرع في تحصيل العلم في إحدى قرى صعيد مصر قبل أن ينتقل للأزهر الشريف فالجامعة ثم سافر إلى باريس ليعود منها حاصلًا على الدكتوراة ثم أستاذًا في الجامعة المصرية حتى صار وزيرًا للمعارف، وقد ملأ الدنيا بمؤلفاته ومحاضراته وأحاديثه العامة ومقالاته. ولا يختلف عباس العقاد عنه كثيرًا، بعدما أحاطت به ظروف صعبة خلقت منه فيلسوفًا عالما، حيث نشأ ضمن أسرة كبيرة فقيرة شغلته بالكدّ والعمل عليها وتيسير سبل الحياة لها، فأبلى بلاء حسنًا حتى ملأ الآفاق بفلسفته ومؤلفاته وعبقرياته ومعاركه الأدبية. لذلك قال عنهما (أبو مدين): "إننا غير مخطئين إذا وصفنا العقاد وطه حسين، (بأستاذ جيل)، فكل منهما قد كوّن مدرسة بما كتب وبما قال مدة

تتجاوز الأربعين سنة، باحثًا ومنشغًا في ميادين الأدب والفن والسياسة والعلوم، **وهما جديران بأن يُقال لكل منهما (أستاذ جيل)، لأنهما قد كوّنا ثقافة جيل كامل**، ثقافة ستبقى ذخرًا بعدهما باقيًا". (أبو مدين، 1985م، 119)

أمّا توفيق الحكيم فقد تخرّج في كلية الحقوق، لكنه لم يفلح أن يكون محاميًا، وكانت فجيعةً لأبيه حين كان يسمع ويرى تجاهل ابنه لصفته كمحام منحشرًا وسط زُمرة الممثلين، فأبعده إلى باريس ليدرس القانون ويعود حاملًا أكبر شهادة من هناك، غير أنّ مدينة النور بهرته بأدبها ومسارحها وفكرها، فهجر مواد القانون الجافة مخيّبًا أمل والده من جديد، **ودخل من أوسع الأبواب إلى الأدب والفن والحياة** التي لا تناسب حسّه المرهف وأخيلته المحلّقة، فأثرى تاريخ الأدب العربي بكتاباته ومؤلفاته وفلسفته؛ لأنه كان صاحب طموح وأمل ورجاء وتطلع للأحسن. (راجع: أبو مدين، 1982م، 55: 62، وأيضًا أبو مدين، 2002م، 311: 349)

تصبح **الإرادة أقوى من الصعاب والمشكلات التي تقف في طريق الطموح**، حين وقف بنا (أبو مدين) على ترجمة الدكتورة عائشة عبدالرحمن الشهيرة ببنت الشاطئ التي علّمها جدُّها لأمها دون علم والدها (معلم المعهد الديني وإمام مسجد القرية بدمياط وقتئذ) فأظهرت تفوقًا ونبوغًا وذكاءً لفت الأنظار في جميع المراحل؛ أبرزها في الامتحان الشفهي أمام الممتحنين في شهادة المعلمات بطنطا. التحقت بنت الشاطئ بالمدرسة الثانوية ثم الجامعة، واختارت قسم اللغة العربية بكلية الآداب متتلمذة على يد الأستاذ الكبير (أمين الخولي) فارتبطت به نفسيًا وعقليًا، ومن ثَمّ تزوجته فيما بعد. استقالت من عملها بالجامعة لرعاية أبنائها الثلاثة، ثم عادتها إليها بعد حصولها على الدكتوراة. خاضت معارك فكرية عنيفة حتى هابها الكثيرون. عملت بالخارج ردحًا من الزمن. أثرت المكتبة العربية بمؤلفاتها والصحافة بكتاباتها، حيث كان لها مكتب بجريدة الأهرام تتنقّل بينه وبين مكتبها بالجامعة؛ فقد كانت صاحبة طموح، والطموح يقود إلى ما لا نهاية. (أبو مدين، 2002م، 373: 393)

**(5-2) الدعوة إلى تأريخ النقد والمعارك الفكرية**

دعا (أبو مدين) إلى تأريخ النقد السعودي والمعارك الأدبية بعد تنقيتها من الشوائب، قائلا: "وليت الذين كتبوا في النقد السليم الجاد، يجمعون ما كتبوا ويغربلونه من الشوائب، ليقدموه صافيًا سائغًا للجيل الجديد من القرّاء، الذين يعنون بالأدب والنقد، خدمة للأدب... إذا استطعنا أن نحقق هذا، سوف لا نصبح مجهولين عند إخواننا العرب، أما إذا انطوينا على ما عندنا مما يصلح وينبغي أن يُنشر، فسنظل حيث كنا". (أبو مدين، 1982م، 220) لذلك فإنه، حين جمع مناوشاته ومعاركه الفكرية بين

دفتيّ كتاب، لم يكن من قبيل إثارة الغبار حولها من جديد، إنما لأنها صارت من **صميم تاريخ الأدب السعودي**، انطلاقًا من قوله: "أرى أنه ينبغي أن يُؤرخ للنقد الأدبي عندنا وللمعارك الأدبية.. وأن يُبعد عن النشر ما يجافي الخلق الكريم، والتأريخ للنقد والمعارك لا يعني بالضرورة نشر المهاجاة والأقذاع ونبش القبور، وإنما دراسة موضوعية للتاريخ الأدبي نقدًا ومعارك". (أبو مدين، 1982م، 287) ومن ثَمّ، سار على دربه، من الجمع والطبع، الكثيرُ من الكُتّاب والأدباء السعوديين الذين تطول بهم القائمة.

وحين أُتيحت لـ (أبو مدين) فرصة إعادة طبع أحد كتبه، بدا متأثرًا بشيخه طه حسين في التحوُّل عن المواقف والتراجع عن الآراء، خاصة في الطبعة الثانية من كتابه (أمواج وأثباج)؛ التي مكّنته من تأمّل كتاباته والتراجع عن بعضها وتعديل أو حذف البعض الآخر. وأغلب الظن أنه لو أُتيحت له فرصة طباعة كتبه الأخرى طبعات جديدة لأجرى عليها نفس ممارساته من التراجع والتعديل والحذف. ففي مقالته عن كتاب (عبدالسلام الساسي: شعراء الحجاز في العصر الحديث)، لاحظ أنّ المؤلف جمع سبعة وعشرين شاعرًا رغم أن بعضم كُتّاب، وفي نفس الوقت تجاوز عن ذكر شعراء مجيدين، ثم استعرض أخطاء بعض أولئك الشعراء والتي دارت أغلبها حول الوزن المكسور والفقر اللغوي. وفي هامش الطبعة الثانية أضاف قوله: "حذفتُ منها ما لا يصلح في رأيي اليوم، وعدّلتُ فيها شيئًا من خطأ... وما حذفتُه من هذا النقد، لا يشرفني إثباته فضلًا عن الاعتزاز به، لأنه كُتب في فترة مهاترات تافهة". (أبو مدين، 1985م، 21)

ورفض في مقالته (تعليقات متأخرة) تعليق (أبو تراب الظاهري) على إحدى مقالاته لأنه تأخّر سبع سنوات ولو كان في مكانه لما أقدم على ذلك، لكنه في هامش الطبعة الثانية أضاف قوله: "هذا الكلام مضى وقته، ولكنه يُسجّل هنا للتاريخ، وللصديق العالم المحقق، البحّاثة الحجّة، أصدق الود والتقدير، فهو وعاء علم ومرجع يُحتجّ به، لغزراة علمه واطلاعه، وهو أستاذنا له الفضل على الكثيرين، لا يجحده إلا ناكر للجميل". (أبو مدين، 1985م، 159)

ونزع (أبو مدين) في مقالته (جهل بالعُروض) عن الشاعر (إبراهيم فودة) معرفته بعلم العُروض، ثم أوضح بالهامش قائلا: "لقد أصبح شاعرنا اليوم مبرّزًا مجيدًا، متقنًا للشعر غاية الإتقان وأبدعه، ومن البارزين فيه". (أبو مدين، 1985م، 425) لكنه عقّب بعد نهاية المقالة بقوله: "حذفتُ بعض هذا النقد من هذه الطبعة تقديرًا للأستاذ الكبير الأستاذ إبراهيم فودة، انطلاقا من تقديري له، ولأن ذلك النقد مضى وقته". (أبو مدين، 1985م، 428) ثم فنّد في مقالته (حرية الأدب أو التزامه) آراء (عبدالعزيز الرفاعي) الذي انتصر لأدب الالتزام باعتباره وقود الحياة، وأنّ الأدب فن والفن لا يعرف القيد كالحُسن

تمامًا. ثم عقّب بعد نهاية المقالة بقوله: "لولا الحفاظ على التاريخ وما يجري فيه، لحذفتُ الكثير من هذا الموضوع، لأنّ الصديق الأخ الكريم الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي.. رجل يقسرك عل احترامه بأدب نفسه.. إلى جانب أدب الدرس الذي يضيف إليه مزيدًا من التقدير والحب.. فأعتذرُ إليه على إثبات هذا الموضوع، أو إعادة نشره مجددًا، **لأنه دخل التاريخ الأدبي**، ثم إنّ الرأي الذي فيه محسوبٌ عليّ". (أبو مدين، 1985م، 471)

## 3. موقع (أبو مدين) ودوره

بعد الوقوف على القضايا والاتجاهات الأدبية والفكرية التي أثارها (أبو مدين) في كتبه الثلاثة، موضوع الدراسة، يدفعنا السؤال عن دور الرجل وقيمته؟ إلى البحث في هذين الأمرين: موقع (أبو مدين) في الحركة الأدبية الحديثة بالسعودية، والاعتراف بأدواره المختلفة.

### (1–3) الإيمان بالرسالة

للمؤثرات التاريخية والدينية والاجتماعية دورٌ كبيرٌ في توجيه الأدب والفكر داخل المملكة العربية السعودية، كغيرها من الدول، لذلك تعدّدت مقوّمات نهضتها بين: الصحافة والإذاعة والتعليم والمكتبات والمطابع والاتصال بآداب الآخرين وإنشاء النوادي الأدبية، ويقف الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه (الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية) على هذه المقومات التي نوجزها في النقاط التالية: (أمين، 1978م، 106: 197)

مرّت الصحافة بمرحلتين شهيرتين؛ هما: صحافة الأفراد وصحافة المؤسسات، وإلغاء كافة رُخص الصحف والمجلات، وصدور المرسوم الملكي في فبراير 1964م الخاص بتنظيم صحافة المؤسسات وإنشاء ثماني مؤسسات هي: (عكاظ والبلاد والندوة والمدينة والجزيرة واليمامة والدعوة الإسلامية واليوم) والتي تصدر عنها الصحف والمجلات. وُلدت الإذاعة السعودية متأخرة عام 1949م، وغلب على بدايتها التضييق، ثم جاء تطوّر الإذاعة على حساب الأدب لزيادة البرامج الترفيهية فيها. أيضًا، واجه التعليم في ظل الحكم السعودي ثلاث عقبات تمثّلت في نقص موارد الدولة، وتحجُّر بعض العقليات التي لا تؤمن بالتقدم، وعدم توافر عناصر المدرسة الأساسية مع اتساع مساحة المملكة. وفي عام 1985م أنشأتْ أمانةُ الرياض أولَ مكتبة عامة، سلّمتها لوزارة المعارف التي نقلت محتوياتها إلى دار الكتب الوطنية. أمّا المطابع، فقد تأخّر ظهورُها في المملكة حتى عام 1882م على يد الأتراك، لكنّ (الشريف حسين) أسس عام 1919م مطبعةً صغيرةً بمكة لطباعة جريدة (القِبْلة) وهي المطبعة التي أطلق عليها (الملك عبدالعزيز) بعد استتباب الأمر له (مطبعة أم القرى) التي تغيّر اسمُها فيما بعد لـ (مطبعة الحكومة). وفي عاميّ

1938/37م، أرسلت المملكةُ بعضَ أبنائها للتدريب في مطبعة (بولاق) بالقاهرة. وفي عام 1952م أُسست مؤسسةُ الطباعة والصحافة والنشر. أخذ اتصالُ الأدباء السعوديين بغيرهم شكلين: الأول؛ الاتصال المباشر عن طريق الصداقات وتبادل الزيارات والكتب. والآخر؛ الاتصال غير المباشر عن طريق القراءة والمتابعة للنتاج الأدبي أو النقدي. أخيرًا، جاء إنشاءُ الأندية الأدبية في المملكة لرعاية الأنشطة الفكرية والثقافية ونشر إنتاج الأدباء والكُتّاب والتعريف بهم، وكانت عل نوعين: الأول؛ أندية رسمية حكومية، بدأت بستة أندية وصارت ستة عشر ناديًا. والآخر؛ الملتقيات والمنتديات والصالونات الأدبية الخاصة التي يقيمُها الأدباءُ والمثقفون تحت مسمّيات مختلفة كالإثنينية والثلوثية والخميسية.

بعد استعراض مقوّمات الحركة الأدبية الحديثة بالسعودية، يأتي السؤال التالي منطقيًا: ما موقع (أبو مدين) من هذه الحركة؟ وهنا نستعين بما قاله الدكتور العوين في كتابه (المقالة في الأدب السعودي الحديث من سنة 1343هـ إلى سنة 1400هـ)، حيث قال عنه: "أصدر عبدالفتاح أبو مدين مجلة الرائد سنة 1379هـ" ثم أشار في الهامش إلى تعريف (أبو مدين) بأنه "ولد في ليبيا عام 1343هـ، هاجر إلى المدينة المنورة، ودرس المرحلة الابتدائية في مدرسة العلوم الشرعية ولم يكمل تعليمه. كتب في النقد الأدبي، والاجتماع، والقضايا المتصلة بالصحافة. اشترك مع سعيد باعشن في إصدار "الأضواء"، وتولى إدارة "الرائد" ورأس تحريرها." وعن مجلة "الرائد" قال في الهامش أيضًا: "هي مجلة أدبية اجتماعية، تناول كُتّابها شتى الموضوعات الأدبية والاجتماعية والسياسية، واستقبلت نتاج الشبيبة النجدية واحتفلت به، وتميّزت بالجرأة والصراحة في القول، والأسلوب الأدبي الرفيع". (العوين، 2005م، 115)

إذًا، كان دور (أبو مدين) بارزًا في المرحلة الأولى للصحافة، وهو من القلّة التي لم يتضرر أسلوبُها بسبب الصحافة، ولم ينجرف وراء الخلافات الشخصية ولا المهاترات وظل مؤمنًا بدوره الفكري واستقبال إنتاج الشبيبة والنشر لهم، والتعرُّض لقضايا الدين والأدب والعروبة دون مزايدة، ونجا من المتاجرة بالصحافة باعتبارها رسالةً وليست حرفةً، ثم واصل رسالته التنويرية في عهد المؤسسات متقلّدًا مناصبَ عدة حتى تولّى رئاسة النادي الأدبي الثقافي بجدة ما يزيد على ربع قرن. إنه من القلائل الذين أظهروا اتّساقًا فكريًا ومنهجيًا في العمل، ومن الأوائل الذين أضافوا للحركة الأدبية الحديثة بالسعودية خاصة في مجالات الصحافة والإدارة والفكر والثقافة.

**(2–3) الاعتراف بالقيمة**

والسؤال الآن: هل أنصف تاريخ الأدب السعودي الحديث (عبدالفتاح أبو مدين) واعترف بأدواره المختلفة؟ عندما نطّلع على كتابين من مقرّرات وزارة التعليم السعودية في المرحلة الثانوية؛ أحدهما

للأدب العربي، والآخر للدراسات الأدبية، نجد أنّ كتاب (الأدب العربي للصف الثالث الثانوي، 2014م، 69: 72) يتحدث عن المقالة وارتباط نشأتها بنشأة الصحف في الوطن العربي وكذلك في المملكة، وأنها مرّت بمرحلتين: الأولى؛ ظهرت بها جريدة (القِبْلة) التي علّمت أبناء الحجاز والسعوديين أسس فن المقالة، ثم رافقتها صحيفة (أم القرى) التي أسهمت معها في إرساء قواعد الفن النثري الأدبي. الأخرى؛ بعد الحرب العالمية الثانية، حيث ظهرت مجموعة من الصحف السعودية أصحابها هم أدباء البلاد وكُتّابها وشعراؤها، فتربّى فيها جيل من الكُتّاب الناشئين الذين احتلوا مكانهم تدريجيًا، وتنوّعت المقالة بين الدينية والأدبية والنقدية والاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية. واستشهد الكتاب ببعض الأسماء للمقالة الدينية وبعض الأسماء للمقالة الأدبية والنقدية ليس من بينها اسم (أبو مدين).

أمّا كتاب (الدراسات الأدبية، 2011م، 164، 165) فكان أكثر تركيزًا وتفصيلًا، حيث وقف على مرحلتين: الأولى؛ البدايات والتي ارتبطت فيها المقالة بصدور الصحف والمجلات تباعا (القبلة، أم القرى، المنهل، صوت الحجاز) واتجهت المقالة إلى الموضوعات الاجتماعية الإسلامية وحاول الكُتّاب الإسهام بآرائهم وأفكارهم في نهضة البلاد والرقي بالتعليم ونشر الثقافة واحترام العمل وتعليم المرأة، وتأثّر الكُتّاب بالتيارات الأدبية والفكرية عربيا وغربيا فاشتدت المعارك الكلامية والنقدية على صفحات الصحف، وتطور شكل المقالة بعد ظهور صحف الأدباء ما ربى جيلًا مثقفًا من الكُتّاب، ثم استشهد بأسماء بعض كُتّاب هذه المرحلة ليس من بينهم اسم صاحبنا. المرحلة الأخرى؛ ما بعد صدور نظام المؤسسات الصحفية، والتي تم فيها إنشاءُ ثماني مؤسسات صحفية صدر عنها صحف ومجلات (الجزيرة، الرياض، اليمامة، الدعوة، عكاظ، البلاد، الندوة، المدينة، اليوم، المنهل، الحج، رابطة العالم الإسلامي، قافلة الزيت، العرب)، واهتم الكُتّاب بالمقالة الموضوعية غير الأدبية ودعوا للتفريق بين المفهوم الصحفي والعمل الأدبي الخالص، وصارت المقالة الأدبية والنقدية محصورة في زوايا محددة وفي أيام محددة من الأسبوع، ثم استشهد ببعض الأسماء لكُتّاب هذه المرحلة، سواء الذين مزجوا بين الحس الأدبي والشكل الصحفي أو الذين كتبوا المقالة النقدية الخالصة ولم يكن بينهم اسم (أبو مدين) أيضًا.

بينما في كتاب الدكتور الشنطي (في الأدب العربي السعودي. فنونه واتجاهاته ونماذج منه)، أشهر كتب تاريخ الأدب تداولًا في الجامعات السعودية، وقف المؤلفُ على ستة أنواع للمقالة: ذاتية ونقدية وأدبية ودينية وسياسية واجتماعية، معرّفًا نوع كل مقالة مستشهدًا بأسماء أشهر كتّابها، نجد أنه لم يُدرج اسم (أبو مدين) تحت أي نوع من أنواع المقالات التي ذكرها، لكنه في النماذج الدالة على النثر السعودي أورد اسم (عبدالفتاح أبومدين) تحت نوعين: الأول تحت السيرة الذاتية المتخصصة، ومسيرته في الصحافة

وكتاب (وتلك الأيام) والآخر تحت المقالة النقدية، ومقالته (أنفاس الربيع). (الشنطي، 2010م، 578، 632)

إذًا، تمّ تجاوز اسم (عبدالفتاح أبو مدين) تماما ضمن كُتّاب المقالة السعوديين سواء في مرحلة البدايات أو مرحلة ما بعد المؤسسات، سواء مع الصحفيين الأدباء أو مع النقاد، سواء في مقررات وزارة التعليم السعودية للمرحلة الثانوي أو في مقررات الجامعة، رغم أنه قامة أدبية وفكرية وثقافية وإدارية باعتراف أشهر مجايليه، ومنها أنه: "يملك القدرة على توليد الأفكار، الشجاعة ونبذ المخاوف البيروقراطية، الهمة العالية على التنفيذ (حسب قول عبدالله الغذامي). ويراهن على المستقبل مدركًا أنه منذور لحركة الحداثة حتى وإن بدا حاضرها متعثرًا، وروحه وثّابة (حسب قول سعيد السريحي). ويتبنّى المقترحات الجادة المؤثرة حتى يبدو كأنه صاحبُها (حسب قول عبدالعزيز السبيّل). ويستوعب المختلف ويؤمن باختلاف وجهات النظر شريطة ربط القول بالعمل، ويسقط أدعياء الكلام من عينه (حسب قول حسن النعمي). وهو رجل القرار الجريء المبني على الخبرة الإدارية والحكمة المكتسبة من اتساع الثقافة (حسب قول معجب العدواني). ويفتح النوافذ لإبداعات السعوديين حتى نقلت الثقافة ووصلت للآخر (حسب قول عالي القرشي)". (صحيفة الرياض، 2013م، العدد 16525)

والباحثُ ليس معنيًا بتقديم مبررات، ولكن للتساؤل عن سبب هذا التجاهل وذلك التجاوز، حيث يبدو أنّ المجتمع السعودي يُجمع على دوره الفكري والإداري أكثر من دوره الأدبي، رغم أنّ الفصل بين الأدب والفكر والثقافة أمرٌ في غاية الصعوبة، فالأديب مفكر، والمفكر مثقف، والمثقف المسؤول صاحب مشروع. لقد آمن (أبو مدين) بضرورة التسلُّح بعشق العمل؛ خاصة وأنّ العمل الثقافي في البلاد العربية مَغرم لا مغنم (حسب قوله) لذا عشق (أبو مدين) الثقافة بمفهومها العام، وأخلص في عمله لها، فخلق حراكًا ثقافيًا مائزًا، مهتمًا بكل جديد، حداثي، غريب ومثير معرفيًا، مؤمنًا بقناعاته الداخلية بضرورة التطوير والقدرة على التحمل ومواجهة المعوقات مهما تكالبت عليه، محوِّلًا أفكاره وطروحاته إلى واقع عملي ملموس في مقالاته الأدبية والإصلاحية، وفي إدارته لنادي جدة الأدبي والثقافي، وفي أنشطة النادي الثقافية التي استقطب لها الموضوعات المثيرة والأسماء الشهيرة، وفي مطبوعاته التي وفرت بيئة بحثية ثرية الروافد، ما خلق من الرجل أديبًا فكريًا ومشروعًا حداثيًا بدرجة عالية.

**الخاتمة**

في نهاية هذا البحث، وبعد الوقوف على الاتجاهات الأدبية والفكرية في كتابات (أبو مدين)، والتعرُّف على دوره وقيمته في تطوير عمل الثقافة وخدمة المجتمع السعودي، نخلُص إلى تسجيل النتائج التالية:

1. إنّ مقاربة إسهامات (أبو مدين)، يجب أن تكون وفق ظروف عصره، ولا نتعامل معها بمقاييسنا الآن فنفقدها قيمتها، لذلك فإنّ كتاباته أدت دورًا تنويريًا مشهودًا في بلاده.
2. (أبو مدين) هو رائد الحداثة السعودية، وصاحب الحراك الثقافي الأبرز فيها، بعدما أسهم وبشدة في مأسسة عملها الثقافي، وأثرى المكتبة العربية بمطبوعات نادي جدة الأدبي والثقافي لأكثر من ربع قرن.
3. تجلت في مقالات (أبو مدين) جوانب الإبداع والفكر والثقافة وروح الإصلاح.
4. امتلك (أبو مدين) وعيًا نقديًا وذائقة صافية مدربة وفكرًا مستنيرًا، حاور به النصوص وقارب القضايا.
5. لم يبحث (أبو مدين) عن الشهرة ولا عن المنزلة، سواء في الأدب أو في تاريخ الأدب، بقدر بحثه عن ثمرة العمل والتأثير الإيجابي له.
6. كان (أبو مدين) صاحب مشروع حداثي، ظهر صداه جليًا في الداخل والخارج، ولا ينكر ذلك سوى جاحد.
7. حاول (أبو مدين)، قدر الطاقة، مساندة الثقافة والمثقفين في السعودية، متحركًا بهما من الهامش نحو المتن، بحثًا لهما عن دور إصلاحي جماهيري ملموس.
8. صحيح أنّ المفكر لا يملكُ كل خيوط اللعبة، لذا فإنّ فشل أي مشروع حداثي أمرٌ واردٌ، لذلك حاول (أبو مدين) الاستفادة من مشاريع أخرى سواء على مستوى العثرات أو مؤشرات النجاح، وكان أقربها مشروع طه حسين في مصر.
9. لم يكن مشروع (أبو مدين) الفكري والثقافي نخبويًا، بل جماهيريًا مجتمعيًا، ما أتاح له فرصة الانتشار والاستمرار، بعد أن خلصت له النيات وتلقّفته العقول مستميتة في الدفاع عن أفكارها.
10. يؤمن تاريخ الأدب السعودي بدور (أبو مدين) الفكري والإداري أكثر من إيمانه بدوره الأدبي.

**المصادر والمراجع**

**المصادر**

1. أبو مدين، عبدالفتاح (1985): أمواج وأثباج. الطبعة الثانية، النادي الأدبي الثقافي بجدة.
2. أبو مدين، عبدالفتاح (1982): في مُعترك الحياة. الطبعة الأولى، النادي الأدبي الثقافي بجدة.
3. أبو مدين، عبدالفتاح (2002): الحياة بين الكلمات. الطبعة الأولى، النادي الأدبي الثقافي بجدة.

## المراجع

4. الشنطي، مُحَمَّد صالح (2010): في الأدب العربي السعودي. فنونه واتجاهاته ونماذج منه. الطبعة الخامسة، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل بالسعودية.

5. العوين، مُحَمَّد عبدالله (2005): المقالة في الأدب السعودي الحديث من سنة 1343هـ إلى سنة 1400هـ. الطبعة الثانية، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض.

6. أمين، بكري شيخ (1978): الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت.

7. صحيفة الرياض، (2013): عبدالفتاح أبو مدين ربع قرن من التنوير الثقافي. العدد 16525 على الرابط: http://www.alriyadh.com/869420

8. وزارة التعليم (2014): الأدب العربي. الصف الثالث الثانوي. الطبعة الأولى، وزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية.

9. وزارة التعليم (2011): الدراسات الأدبية. نظام المقررات. الطبعة الأولى، وزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية.